

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة رئيس التحرير

الله... الله في هذه المهنة



لا زالت مهنة الطب - وبكل أسف وأسى - تشهد انحدارا متسارعا عن علو قدرها، وسمو مكانتها، ورفعة منزلتها، وذلك لسببين اثنين:

الأول: تخلي الطبيب عن التحلي بأخلاقيات المهنة: فالطب، أصبح مهنة كسائر المهن، فيه الدعاية وفيه التجارة! ... والطبيب أصبح اليوم كأى متاجر، يتكلم في المال وفي التجارة وقد يشارك في البورصة و أعمال العمارة...! ولا ينسى نصيبه من الربح والخسارة! ...

والوجه التجاري للمهنة، كان قد غلب في السنوات الاخيرة! ... فقامت منشآت علاجية ومراكز استشفائية، همها الوحيد والوحيد فقط: استرداد النفقات السريع، وتحقيق الربح الوفير، دون مراعاة للجانب الانساني في التطبيب وتقديم العلاج! ... وقد رأيت هذا والله بأمر عيني في احدى بلادنا الحبيبة .. وهذه لعمرى من المصائب المحزنة في أيامنا. ونتيجة لهذا الانحراف المؤلم، انظروا الى صورة الطبيب في زماننا: فبرغم الشهادات العالية والاختصاصات الراقية والخبرات الطويلة السامية... يأتي المريض (وقد يكون ممن لا يفك الخط ... كما يقولون) ليقول لطبيبه: وهل انت متأكد من تشخيصك يا دكتور؟! ...

ثم تعالوا نسترجع صورة الطبيب منذ ثلاثين سنة او اكثر: ينادى الى مريضه فيأتيه سراعا... ولا يخرج من عنده، الا وقد فحصه كما ينبغي، واسترسل في شرحه واطال في نصحه... ثم التفت الى اهله، فهدأ روعهم وازال شكهم ورسم بسمتهم ثم مضى... وانظروا اليهم كيف لحقوا به الى الباب، ورافقوه الى المخرج، ثم دسوا في جيبه ما تيسر لهم وحسب امكانياتهم... ثم مضى هو وبكل ادب، دون ان ينظر في الامر او يدقق في الاجر ويتأكد من المبلغ... ولذلك كان يسمى حكيما... نعم حكيما وكان يليق به هذا الوصف . ثم تأملوا، كيف كان حال الطب في ذلك الزمان ... كان قول الطبيب منزلها ووصفه منزلا ونصحه فرضا... وكان المريض لا يعرف الا طبيبه، فيوقره ويحترمه ويقدره ويبجله... ويخلع ويترك من يستغيبه أو يحقره أو يفجره ... فأى الصورتين أجمل يا ترى؟! ... وأيهما تليق بالطبيب... القديمة بالابيض والاسود ام الجديدة وبالالوان؟ ...

وأما السبب الثاني فهو: تخلي المهنة عن التحلي بأخلاقياتها، والانحراف عن أولوياتها، والابتعاد عن انسانياتها: فقتل المريض (شفقة! ...) يطبق في كثير من البلدان، هذه التي تقول عن نفسها أنها متقدمة! ... واجهاض الجنين حتى بغير عذر طبي، يمارس وتحت حماية القانون في الكثير من الاوطان، هذه التي تتباكى ليل نهار تشكو ندرة الزيجات وقلة الولادات! ... وقريبا قريبا، ستصبح التجارب على الاجنة ممكنة في هذه المجتمعات التي تعتبر أن مجرد المساس بالحيوانات جريمة منكرة وغير مغتفرة! ... أما استنساخ الاعراق البشرية فستصبح عادية! ... وذلك بعد أن تم فعلا استنساخ الفكرة (الهلترية) في التفوق العرقي، ولكن هذه المرة بمعامل امريكية ودعايات هوليدوية... فنجحت! ... ولاستبعد ابدأ أن تكون الحروب القادمة (جينية وراثية!...) تدمر فيها امم من - قبل ان تولد - تتهم بحمل (مورثات ارهايبية وجينات عدائية!...) ... بدلا من ان تصب عليها - بعد أن تولد - الحمم الحارقة من الارتفاعات الشاهقة... فيما سمته لنا من تعتبر نفسها سيدة هذا العالم المتحضر (بالحرب الجراحية الدقيقة)!!!... ولاصلاح السبب الثاني لا بد من اصلاح السبب الاول ... نعم اصلاح الطبيب، الذي ان صلح صلحت المهنة، واستقامت، وعادت الى رشدها، وامتمت ومن جديد سلم عليائها واستوت على عرش كبريائها.

ولا أظن أن اصلاح هذين الخللين سيأتي من الغرب ... ان الغرب تخلى عن تعاليم السماء، واستبدل بها أخلاق المصلحة والهوى ... فأصبح سجيننا لهذه المصلحة الدنيوية المتدنية... وما عاد يعني له شيء تعبير: (أخلاق دينية) أو (تعاليم سماوية) أو (محاذير آلهية) أو (حدود ربانية).

ان اصلاح هذا الخلل سيأتي من الشرق... نعم من الشرق ... وهذه والله ، هي واحدة من الرسائل التي يجب ان نحملها الى هذا الغرب ، الذي شاءت مقادير الله عز وجل أن نحمل لنعيش في كنفه... لماذا انتم مستغربون؟... ان العودة الى أسس حضارتنا العريقة والمستمدة من تعاليم ديننا، والتي فيها هذه الجدلية بين الروح والمادة، بين الممكن والمحرم، بين وجوب العمل وضرورة مراقبة الله في العمل، بين استخدام سنن الله واحترام حرمة خلق الله، بين وجوب البحث العلمي والوقوف على حدود هذا البحث العلمي.

نعم ان حضارتنا الاخلاقية، وبرغم هذه الهزائم (المزمنة) هي وحدها المرشحة لترشيد (وليس استبدال) هذه المدنية الكونية المنحرفة، والشاردة، والسائرة بالامم جميعا الى مصير مجهول... وذلك سواء (عرفت) هذه الحضارة التائهة هذه الحقيقة اليوم، فغضت النظر استعلاء واستكبارا، أم (جهلت) واكتشفت ذلك غدا فانصاعت قهرا واستصغارا... فهل انتم موقنون؟... الى اللقاء ... السلام عليكم

د. مصطفى عبدالرحمن
رئيس هيئة التحرير